نمو روحي مشجع
(أفسس ١:١٥ و ١٦)

تأليف: جو شوبيرت

خلال الستينات من القرن العشرين، سجل سيمون وغارفانكل كلمات والحان التي فتنت جيلاً كاملاً. كانت من ضمن أغانيهما: «أصوات السكون» و «جسر على ماء ثائر» وأخرى. صارت إحدى أغنياتهما نشيد للأفراد. كتب پول هذه الأغنية الشعبية:

أنا صخرة وأنا جزيرة.
الصخرة لا تشعر بالألم،
والجزيرة لا تصرخ أبداً

كلماته تقوّي الروح الاستقلالية في الزمان. مضينا قدُماً لَنجعل أفراد غير مهذبين أبطالنا. وهذا واضح في الأفلام التي أبطالها كلينت إيسوُد وشارلس برونسون وستيف سغال وسيلڤستر ستالون. الفكرة الرئيسية لرجل واحد ضد غرائب، يعمل وحده ما يجب عمله، يفتتن به كثيرون.

لقد وصل جيل «الأنا». كلماتنا المفضلة هي «أنا» و «لي» و «خاصتي» وكل ما يتعلق بالمتكلم المفرد، وليس «لنا» و «ملكنا» و «خاصتنا». تجد الكنيسة نفسها في وسط كل هذا. الناس الذين يجتمعون معاً في الكنائس متأثرين بتعليم جيل «الأنا»، كدليل بهذا الوصف:

> يمكن القول ان معظم الناس الذين يدخلون الكنيسة اليوم هم ببساطة غير مجهزين للتفكير بمفاهيم الجمع. الإستقلالية التي تعلمناها هي ضعف؛ المسؤلية هي عبودية؛ الطاعة هي تقليل من القدرة. الأمة التي تنكر الذات لترفع منزلة الجماعة، هي عينها غريبة عن العقل العصري...
>
> ...معظم أعضاء الكنيسة متفردين في ملابس الذهاب إلى الكنيسة يوم الأحد. فانهم ما زالوا يفكرون بمفاهيم «الأنا». يصنعون قرارات ويقومون بأعمال لا تعتمد على ما هو الأحسن للجماعة، وإنما على التفضيل والتقييم الشخصي. في عقول معظم المسيحين العصريين، تأخذ حاجة الأكثرية عادة مكان أدنى مقارنة مع حاجة الأقلية أو حتى حاجة الواحد (مقتبس من جيمس هينكل وتيم وُدروُف).

نحن لسنا أول جيل في تاريخ العالم يُعرف بجيل «الأنا». كان على بولس دائماً ان يذكر المسيحيين ليهتموا ببعضهم البعض. تحتوي رسائله على الكثير من النداءات ليحبوا بعضهم البعض، ليكونوا لطفاء مع بعضهم البعض، وليشجعوا بعضهم البعض. عمل بولس في مدن العالم الكبرى – فليبي وكورنثوس وأفسس وروما وتسالونيكي. عمل أساساً مع المسيحيين الذين يسكنون في المدن والذين يعيشون في جو ثقافي يعزلهم عن العالم.

مثلنا، كان لمسيحي القرن الأول ان يتعلموا الكثير عن التعامل معاً. كانوا يحتاجون للتعليم عن الشركة والاهتمام التعاوني ووضع حاجة المجموعة أمام الذات. مثلنا، كان كثير من المسيحيين في القرن الأول يجهلون العيش في المجتمع والمشاركة في علاقات مع الإخوة.

كان بولس يكتب إلى المسيحيين الذين كانوا يسكنون في مدن متحضرة. كانوا يعيشون في مراكز حضارية عظيمة وفي مدن العالم الكبيرة. كانوا في حاجة أن يتعلموا كيف

يعيشون كجسد المسيح.

على سبيل المثال، المسيحيون في روما كانوا في حاجة ليتعلموا كيف يكرسون حياتهم لبعضهم البعض في محبة أخوية (رومية ١٢:١٠). قال لهم بولس أن يفضلوا بعضهم على بعض في الكرامة (رومية ١٢:١٠)، وأن يعيشوا في انسجام مع بعضهم البعض (روم ١٢:١٦)، ولا يحاكموا بعضهم البعض (رومية ١٤:١٣)، وأن يقبلوا بعضهم البعض (رومية ١٥:٧). قال لهم «فلنسع إذن وراء ما يؤدي إلى السلام وما يؤدي إلى بنيان بعضنا بعضاً» (رومية ١٤:١٩).

كان المسيحيون الذين في أماكن كورنثوس التجارية في حاجة ليتعلموا انتظار بعضهم البعض عندما يجتمعون لتناول الوجبة في الشركة (١ كو ١٢:١٥). علمهم بولس أن لا يكونوا منشقين بالتحيز، بل يكون لهم اهتماماً واحداً بعضهم لبعض (١ كو ١٢:٢٥).

في تسالونيكي، مدينة كبيرة أخرى، شجع بولس المسيحيين ليحبوا بعضهم بعضاً (١ تس ٤:٩) أوصاهم أن يعزوا بعضهم البعض (١ تس ٤:١٨) وأن يبنوا أحدهم الآخر (١ تس ٥:١١). قال: «...اتبعوا الخير بعضكم لبعض وللجميع» (١ تس ٥:١٥).

قال بولس للمسيحيين في أفسس أن يحتملوا بعضهم بعضاً في محبة ويغفروا بعضهم لبعض (أفسس ٤:٢ و ٣٢). وناشدهم أن يخضعوا بعضهم لبعض (أفسس ٥:٢١).

ما قاله بولس في هذا الأمر، التعليم للعيش كمجتمع جديد لشعب الله، هو بالضبط ما ينبغي للكنيسة أن تسمعه اليوم. المثال الذي أتى به بولس في معاملاته الشخصية مع الرفقاء المسيحيين، هو مثالاً يجب أن نتبعه. قد يساعدنا لنمضي ما وراء عالمياتنا الصغيرة ونشارك في حياة الآخرين.

فكر بمثال بولس لحظة. كان ذلك في سنة ٦٠ م وكان هو في روما، تحت الإقامة الجبرية ولبعد أميالاً كثيرة عن المسيحيين الذي كان يعرفهم في أفسس. كان قد قضى في وقت ما ثلاث سنوات في أفسس – يعلم ويخدم ويبني الكنيسة. ولكن، لم يرى تلك المدينة لمدة أربع سنوات.

السجن والمشقات والمسافة ومرور الوقت – لم يحطم أياً منها اهتمام بولس لإخوته في أفسس. انه لم يدع الظروف تجعله يركز على المشاكل الخاصة به ويستثني ما كان يحدث في حياة الآخرين.

التقى مسيحي عابر سبيل من أفسس مع بولس في روما. عندما قابله بولس، لم يتمالك نفسه بالإنتظار حتى يسمع عن الكنيسة هناك. كيف كان الناس؟ ماذا كان يجري بينهم؟ وهل كانوا يجتمعون معاً كشعب الله؟

التقرير الذي تلقاه بولس أنار يومه؛ ورفرف قلبه بالفرح. نقرأ: «لذلك أنا أيضاً، إذ قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع ومحبتكم نحو جميع القديسين، لأزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي» (أفسس ١:١٥ و ١٦).

هل ترى الصورة؟ كان بولس في السجن يبعد أميالاً كثيرة عن الأخوة في أفسس. لم يراهم لمدة أربع سنوات طويلة ومع ذلك كان بولس مهتماً بهم اهتماماً عميقاً. يساعدنا بولس على فهم هذا الدرس: يرضي المسيحيون الله عندما يظهرون حسن النية في التقدم الروحي للآخرين.

لا يريد يسوع من شعبه أن يكونوا منعزلين، بل يريد لنا أن نكون مجموعة من الذين يخدمون بعضهم البعض. أظهر لنا بولس كيف نحتاج إلى تطوير نية صالحة وأهتمام ورغبة لرؤية آخرين يتطورون روحياً.

يعجب بولس بالنمو الروحي للآخرين

التقرير الذي تلقاه بولس عن المسيحيين في أفسس خلق فيه سروراً. انهم قد حققوا شيء من توازن حساس ينبغي ان يكون بين شعب الله. أولاً: «انهم أظهروا الولاء إلى الرب يسوع». كتب بولس قائلاً: «...قد سمعت بإيمانكم بالرب يسوع...» (أفسس ١:١٥). قد جاءوا ليضعوا ثقتهم ويعيشوا حياتهم ويبنوا رجاءهم على يسوع. لم يأتوا إليه فقط كمخلص، وهذا ما يعنيه الاسم «يسوع»، بل أتوا إليه أيضاً كرب.

كانوا يخضعون له حياتهم ويكرمونه ويطلبون ما يرضيه. صنعوا قراراتهم اليومية بناءً على ما يظهر له الإجلال.

في الكنيسة التي أنا عضو فيها، آمن رجل متقدم في العمر بيسوع. كان أبيض الشعر، ولكن كان قلبه مثل قلب طفل في ثقته في الرب. لا يوجد شيء أحلى من الوقوف في ماء المعمودية مع شخص مثل ذلك الرجل ومشاركة الفكرة معه انه عند المعمودية، تزول الحياة القديمة، وتبدأ حياة جديدة.

هل تعلم ما هو الشيء الأكثر إثارة؟ انه رؤية يسوع يغير أبناء الله. ذكر لنا بولس بانه لا يجب علينا أن نتوقف عن تقدير الوفاء للرب يسوع عندما نراه ينمو في حياة الآخرين. سيفوت علينا هذا إن عشنا في عالمياتنا الصغيرة.

لم يكن لمؤمني أفسس الولاء للرب يسوع فحسب، بل أيضاً كان لهم محبة لكل الإخوة. استمر بولس: «...ومحبتكم نحو جميع القديسين» (أفسس ١:١٥). المحبة هي عكس الإنعزال عن اهتمامات الآخرين. نقرأ في رسالة يوحنا الأولى ٣:١٦ ما يلي: «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة.»

عندما يتعلم المسيحيون كيف يعبرون عن ذلك النوع من المحبة، يجب أن نمتلئ بالفرح، لأن هذا يعني انهم يحققون تقدم روحي. هم يصيرون مثل يسوع. يظهر فيهم شبه يسوع؛ وهو يعيش فيهم.

هذه المحبة هي لكل القديسين، انها تتخطى على التمييز، وعلى محبة الناس من أجل ما يفعلونه لنا، أو على الشركة فقط مع الذين يريدون ما نريده نحن. يجب أن نشكر الله كل وقت نرى فيه أخ يعلن أو أخت تعلن عن المحبة لكل القديسين.

صلى بولس لأجل النمو الروحي للآخرين

بعد السماع عن الإيمان ومحبة مؤمني أفسس، كتب بولس: «لا أزال شاكراً لأجلكم ذاكراً إياكم في صلواتي» (أفسس ١:١٦). كان بولس يفهم حقيقتين مهمتين، الأولى: كان يعرف العلاقة بين النمو الروحي والمسيحيين الذين يصلون من أجل بعضهم البعض. والثانية: كان يفهم الحاجة إلى الاستمرار الدائم في الصلاة من أجل الآخرين.

و فيما بعد، ذكر بولس لهؤلاء الإخوة الحرب الروحية التي يجد المسيحيون انفسهم فيها. نصحهم ان يلبسوا درع الله الكامل. لا يمكن لجندي أن يقاتل في الحرب دون معدات مناسبة. ختم بولس الرسالة بالتشديد على الصلاة: «مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين» (أفسس ٦:١٨).

كان بولس يفهم العلاقة بين النمو الروحي والصلاة من أجل بعضهم البعض. انه جعل الصلاة أولوية لإخوته. كان يدرك العلاقة الحية بين الصلاة والحالة الروحية السليمة للمسيحيين.

وجه غين غيتز مسألة الصلاة هذه بين الإخوة:

> جزء من استراتيجية الشيطان هو أن يجعلنا منشغلي البال بأشياء أخرى – حتى بالأشياء الجيدة – لكي نخفق من اعطاء الصلاة مكانها اللائق. انه ميل طبيعي، وخاصة عندما تكون الأشياء سائرة على ما يرام. ولكن الأسفار المقدسة توضح أن للصلاة مكاناً مرموقاً في قائمة الله للأولويات. وعندما تُجهل الصلاة أو تُفقد، سيحاول الشيطان أن يؤذي الكنيسة، وخاصة عن طريق تحطيم الوحدة.

فلنربط كل هذا معاً بثلاثة دروس للحياة: (١) لا يمكن لأحدنا أبداً الوصول إلى ما يمكن ان نصير روحياً حتى نطور طريقة الإستمرار الدائم في صلواتنا من أجل بعضنا البعض. الصلاة للآخرين هي تطوير ودليل إلى البلوغ الروحي. (٢) لا يمكن لأسرة الكنسية أن تصل إلى ما تستطيع ان تصير روحياً حتى نطور طريقة الصلاة الدائمة في صلواتنا لأجل بعضنا البعض. علينا أن نعمل لتحسين هذا. علينا

أن نعقد العزم كأُسر الكنيسة لنصلي. علينا ان نضع التشديد على الصلاة لأجل بعضنا البعض عند تجمعاتنا ونعطي فرص للناس لكي يصلوا من أجل بعضهم البعض. (٣) الصلاة من أجل بعضنا البعض لا يمكن أبداً أن تكون مستمرة بصفة دائمة إلا إذا جعلنا الصلاة أولوياتنا.

الخلاصة

كان ڤيكتور فرانكل في سجن في معسكر الاعتقال خلال الحرب العالمية الثانية. الذين قبضوا عليه أخذوا كل شيء منه – كتبه وكل شيء ثمين لديه حتى أسرته. لم يكن له شيء ليعيش من أجله، لا شيء يجعله يستمر غير التصميم الشديد للبقاء على الحياة.

استسلم كثيرون في المعسكر وماتوا. وآخرون جاءوا إلى فرانكل ليسألوه ليخاطبهم بكلمات التشجيع لتساعدهم على احتمال مشقاتهم. وأخيراً طلب فرانكل من الناس ان يحتملوا، وذكرهم بانه عندما يتناولون الحساء في اليوم التالي، ربما سيجدوا حبة الفاصوليا في أسفل الصحن. انه كان أمل ضئيل، ولكن ذلك كان كل ما يمكن لفرانكل ان يعطيهم.

هل تعلم ماذا حدث؟ فرانكل هو الذي تلقى أكثر التشجيع من الخطابات. ما أعطاه لآخرين أعطاه لنفسه.

ما نعطيه لبعضنا البعض في المسيح، نعطيه لأنفسنا. شجع غيرك فستتشجع أنت وساعد غيرك، فان هذا سيساعدك. احتمل الناس، وسيبدو حملك أخف. صلي من أجل النمو الروحي لمسيحي آخر، وستجد نفسك غنياً روحياً. ❖

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧